

## القراءات القرآنية ودورها في تعليم اللغة العربية

### "الأصوات أنموذجاً"

د. آيدن قضاة

الأستاذ في كلية العلوم الإسلامية بجامعة أنقرة يلدرم بيازدا تركيا

#### تمهيد:

إن مما يلفت النظر في البلاد غير العربية هو زيادة الاهتمام باللغة العربية، ويلاحظ هذا في عموم البلاد الإسلامية غير العربية، وخاصة في تركيا، حيث أدى الاهتمام في هذه البلاد باللغة العربية وعلومها، إلى افتتاح كليات جديدة في الجامعات مثل كلية العلوم الإسلامية واللغة العربية وآدابها أو اللغة العربية وبلاغتها، وكذلك كثرت المعاهد الشرعية والكتاتيب القرآنية التي تعني بهذا العلم، وكان ذلك التعليم يسير بشكل جيد في أغلب الأحيان، ولكن في أحيان أخرى كانت تواجه خطى تعليم اللغة العربية للناطقين بغيرها عوائق كثيرة وعقبات متعددة. لذا كان هذا البحث، الذي يُوصف أهمية دور القراءات القرآنية في إزالة هذه العقبات أمام متعلمي اللغة العربية من الناطقين بغيرها، مشيراً إليه بموضوعية وواقعية، والذي يهدف إلى تنمية مهارات الاستماع والمحادثة من خلال ربط اللغة العربية بالوجوهات القرآنية .

#### المبحث الأول

### القراءات القرآنية ونشأتها وعلاقتها باللغة العربية

#### المطلب الأول: معنى القراءات القرآنية

القراءات لغةً: جمع قراءة، وهي مصدر قرأ قراءة وقرآنًا بمعنى: تلا تلاوة، وهي في الأصل بمعنى الجمع والضم، تقول: قرأت الماء في الحوض أي: جمعته فيه، وسمي "القرآن" قرآنًا؛ لأنه يجمع الآيات والسور ويضم بعضها إلى بعض. 1 واصطلاحاً: للعلماء في تعريف القراءات اصطلاحاً تعاريف كثيرة، كتعريف الزركشي قال: "القراءات اختلاف ألفاظ الوحي المذكور في الحروف وكيفيةها من تخفيف وتشديد

<sup>1</sup> محمد محمد محمد سالم محيسن، القراءات وأثرها في علوم العربية، مكتبة الكليات الأزهرية - القاهرة، ط1، 1984، ج1، ص9.

وغيرها<sup>2</sup>، وتعريف الشيخ عبد الفتاح القاضي -رحمه الله- بقوله: "هو علم يُعرف به كيفية النطق بالكلمات القرآنية، وطريق أدائها اتفاقاً واختلافاً مع عزو كل وجه لناقله،<sup>3</sup>

لكنّ أشملها وأجمعها ما ذكره ابن الجزري من تعريف القراءات فقال: "هو علم بكيفية أداء كلمات القرآن واختلافها بعزو الناقل"، وقد اعتمد هذا التعريف أغلب من ألف في مجال القراءات من العلماء المعاصرين؛ وقال ابن الجزري رحمه الله: "كل قراءة وافقت العربية ولو بوجه، ووافقت أحد المصاحف العثمانية ولو احتمالاً، وصحّ سندُها، فهي القراءة الصحيحة التي لا يجوز ردُّها ولا يحلُّ إنكارها، بل هي من الأحرف السبعة التي نزل بها القرآن، ووجب على الناس قبولها، سواء كانت عن الأئمة السبعة أم عن العشرة، أم عن غيرهم من الأئمة المقبولين، ومتى اختلَّ ركنٌ من هذه الأركان الثلاثة أُطلق عليها قراءة ضعيفة أو شاذة أو باطلة<sup>4</sup>. أي أنه يتناول ألفاظ القرآن الكريم من تخفيفٍ وتشديدٍ، ومدٍ وقصرٍ، وتسهيلٍ في الهمزات وتحقيقٍ، وما شابه من مظاهر أصول التلاوة القرآنية<sup>5</sup>.

وهل القرآن والقراءات حقيقة واحدة أو حقيقتان متغايرتان؟ تحدث الإمام الزركشي حول ذلك في البرهان في علوم القرآن فقال: "اعلم أن القرآن والقراءات حقيقتان متغايرتان، فالقرآن هو الوحي المنزل على محمد صلى الله عليه وسلم للبيان والإعجاز. والقراءات هي اختلاف ألفاظ الوحي المذكور في كتبة الحروف أو كيفيتها من تخفيفٍ وتثقيلٍ وغيرهما"<sup>6</sup>.

## المطلب الثاني: نشأة القراءات

مرت نشأة القراءات بمراحلٍ متعددةٍ من عهد النبي صلى الله عليه وسلم إلى عهد القراء العشر المشهورين، فالمرحلة الأولى كانت تأسيسية وهي القراءة بالسمع والمشافهة مباشرةً من فم النبي ومن دون واسطة؛ كعلي بن أبي طالب، وعبد الله بن مسعود، وأبي بن كعب، وزيد بن ثابت، وغيرهم. ثم مرحلة قراءة الصحابة، حيث اشتهرت مصاحف خاصة للصحابة، كمصحف أبي، ومصحف ابن مسعود، ومصحف المقداد<sup>7</sup> وتعارف الناس عليها، إلى أن جمع عثمان الصُّحُفَ في مصحف واحد، ثم نسخ عدة مصاحف

<sup>2</sup> الزركشي، البرهان في علوم القرآن، ج1، ص318.

<sup>3</sup> عبد الفتاح بن عبد الغني بن محمد القاضي، البدر الزاهرة في القراءات العشر المتواترة، دار الكتاب العربي، بيروت - لبنان، ج1، ص7.

<sup>4</sup> ابن الجزري، النشر في القراءات العشر، ج1، ص9.

<sup>5</sup> محمد عبد الله فاتح، القراءات القرآنية - مقدمة أساسية، [/https://atharah.com/readings-of-the-quran](https://atharah.com/readings-of-the-quran)

<sup>6</sup> الزركشي، البرهان في علوم القرآن، ص466.

<sup>7</sup> السيوطي، الإتيان في علوم القرآن، ج1، ص226.

من النسخة الأم وأرسلها إلى الأمصار، مكة، والكوفة، والبصرة، والشام. ثم قراءة التابعين حيث أخذوا قراءتهم من الصحابة الذين استقروا وانتقوا على المصاحف التي ألزمهم بها عثمان بن عفان.<sup>8</sup>

ثم مرحلة تأسيس علم القراءات، بين القرن الثاني والثالث الهجري، حيث ظهرت المدارس والمذاهب المختلفة في القراءات، كقراءة ابن كثير، وعاصم بن أبي النجود، ونافع المدني، وظهرت اختلافات كثيرة بين القراء.<sup>9</sup> فجاءت المرحلة الخامسة وهي حصر القراءات بالسبع، وذلك أواخر القرن الثالث الهجري، على يد ابن مجاهد، في كتابه: "السبعة في القراءات"، واقتصر على القراء السبعة مع أن القراءات أكثر من ذلك بكثير، لأن قراءتهم وافقت الشروط التي راعاها، وبلغت مرتبة التواتر.<sup>10</sup>

وأخيرا استقرت المرحلة السادسة على العشر، وكان ذلك أواخر القرن الثامن الهجري، على يد ابن الجزري، حيث أضاف ثلاث قراءات أخرى، وأثبت تواترهم بالسند الصحيح، وألف كتاب "النشر في القراءات العشر" ومختصره "التقريب"، و"تحبير التيسير في القراءات العشر"، و"طبقات القراء"، ونظم أيضا "طبيبة النشر في القراءات العشر"،<sup>11</sup> فكان له فضل في ضم القراء الثلاثة إلى السبعة، حيث دفع بذلك ما علق في أذهان الكثيرين من أن القراءات السبعة هي الأحرف السبعة، وقد نهج القراء نهجه من بعده، واستقر الاعتماد العلمي على القراءات العشر المتواترة، وأصبحت أكثر شهرة، وعدّها الناس الأساس في هذا العلم.<sup>12</sup>

### المطلب الثالث: فوائد تعدد القراءات

إنّ لتعدد القراءات القرآنية فوائد جمّة، تُبيّن أهمية معرفة هذا العلم، كإثراء المعنى للنص القرآني، فتبوت أحد اللفظين في قراءة قد يبين المراد من نظيره في القراءة الأخرى أو يثير معنى آخر مثل "المستم" و "لامستم"، ولهذا بنى الفقهاء نقض وضوء الملموس وعدمه على اختلاف القراءة.<sup>13</sup> ومن فوائدها إعجاز القرآن بإيجازه، إذ تنوع القراءات بمنزلة الآيات، لذلك تجد كلمة "وأرجلكم" قد جمعت حكّمين مختلفين بأن واحدٍ، وهما غسل الرجل في الوضوء، والمسح على الخف أو نحوه، مع أنّ اللفظ واحدٌ لكنّ إعرابه يختلف.<sup>14</sup> ومن بين الفوائد أيضا التسهيل والتخفيف على الأمة، وإظهار سرّ الله في كتابته وصيانته عن التبديل والاختلاف، فمع كون القرآن على هذه الأوجه الكثيرة لم يتطرق إليه تضادٌ ولا تناقض ولا تخالف،

8 محمد عبد العظيم الزرقاني، مناهل العرفان في علوم القرآن، مطبعة عيسى البابي الحلبي، القاهرة، ط3، ج1، ص 404/403.

9 محمد حبش، الشملة في القراءات، دار الكلم الطيب، دمشق، ط1، 2001م، ص33.

10 محمد بن عبد الله بن بهادر الزركشي، البرهان في علوم القرآن، مطبعة عيسى البابي الحلبي، القاهرة، ط1، 1957م، ج1، ص329.

11 الداودي، طبقات المفسرين، ج2، ص64، ابن الجزري، النشر في القراءات العشر، ج1، ص40/39.

12 الداودي، طبقات المفسرين، ج2، ص65؛ الزرقاني، مناهل العرفان، ج1، ص163/162؛

13 محمد الطاهر بن محمد بن عاشور التونسي، التحرير والتوير، الدار التونسية للنشر، تونس، 1984م، ج1، ص56؛

14 السيوطي، الإتيان، ج1، ص279.

بل كلُّه يُصَدِّقُ بعضُه بعضاً، ويُبَيِّنُ بعضُه بعضاً،<sup>15</sup> ومن ضمن الفوائد بيانُ لفظ مُبَهَمٍ كقراءة حمزة والكسائي (فتتبتوا)، بالثاء والطاء، وقراءة الباقيين (فتبتينا)، بالباء والنون، فجاءت القراءة الأخرى (فتتبتوا)، لبيان ما أراده الله سبحانه، وهو أن نتتبت في خبر الفاسق ونحتاط له.<sup>16</sup>

ومن الفوائد المهمة الجمع بين حُكْمَيْنِ مُخْتَلَفَيْنِ، فقد قرأ حمزة والكسائي وخلف وأبو بكر بتشديد الطاء والهاء في "يظَهَّرْنَ"، وقرأ الباقون بتخفيفهما، فنتج عن اختلاف القراءتين حكيمين مختلفين، الأول أن الحائض لا يقربها زوجها حتى يحصل أصل الطهر، والثاني أن الحائض يحرم وطؤها قبل الغسل بعد انقطاع الدم.<sup>17</sup> إضافة إلى فائدة بيان حُكْمٍ مُجْمَعٍ عليه، كقراءة سعد بزيادة لفظ "من أم"، حيث قرأ "وله أخٌ أو أختٌ من أمِّ"، فتبين بها أن المراد بالأخوة في هذا الحكم الأخوة للأم، دون الأشقاء ومن كانوا لأب، وهذا أمرٌ مُجْمَعٌ عليه، قال ابن المنذر: «وأجمعوا أن مراد الله عز وجل في الآية التي في أول سورة النساء الإخوة من الأم».18.

#### المطلب الرابع: العلاقة بين القراءات واللغة

تعتبر العلاقة بين اللغة العربية والقراءات القرآنية كالتوأم أو كاليدين يدعم بعضها بعضاً، لأنَّ منبعهما واحد، وهي اللغة المتداولة حين نزول الوحي، طبعاً كان يوجد فيه بعض المفاهيم وبعض المصطلحات لا يفهمها بعض الناس، وهذا طبيعي لأنه كلامٌ إلهيٌّ، لأنَّ الوحي له ميزةٌ لسانيةٌ خاصةٌ به فوق اللغة المتداولة بين المجتمع ذلك اليوم.

وبالمناسبة بين اللغة العربية والقراءة أيهما أثر في الآخر، هل يمكن أن ندعي بأن القرآن وبالطبع القراءات أثرت في الدراسات النحوية، أو في تأسيس المبادئ النحوية، طبعاً أثرت، لا شكَّ بهذا، لأنَّ الآيات القرآنية والوجوه القرآنية مصدرٌ من مصادر قواعد اللغة العربية، كما للنحو العربي مصادر أخرى مثل الأدعية والأشعار القديمة والأمثال والآثار القديمة في الغابات وعلى الأحجار، ومثل بعض المخطوطات وما إلى ذلك، وعلى رأس هذه المصادر القرآن الكريم، والوجوه القرآنية، وهذه ظاهرةٌ ثابتةٌ لا اختلاف فيها،

15 الإتيان، ج2، ص532؛ إبراهيم محمد كشيدان، السبل النيرات في أهمية علم القراءات، المجلس الوطني، دبي، ط1، 2014م، ص58-60.

16 ابن الجزري، النشر في القراءات العشر، ج2، ص398-399؛ أبو الفداء إسماعيل بن عمر، المعروف بابن كثير، تفسير القرآن العظيم، دار طيبة للنشر والتوزيع، ط2، 1999م، ج7، ص370.

17 أبو محمد زكريا بن مسعود الأنصاري الخزرجي، اللباب في الجمع بين السنة والكتاب، دار القلم، دمشق، ط2، 1994م، ج1، ص148-147.

18 أبو حيان الأندلسي، البحر المحيط في التفسير، ج3، ص547؛ أبو بكر محمد بن إبراهيم بن المنذر النيسابوري، الإجماع، دار المسلم، السعودية، 2004م، ص71.

ومن العكس هل أثرت اللغة العربية في الوجوه القرائية، وبكلمة أخرى: هل اللغة العربية مصدر من مصادر تثبيت وجوه القراءات؟.

يوجد ثلاثة آراء:

الرأي الأول: وهو القوي والأرجح، أن الوجوه القرآنية توقيفية لا اجتهادية، لأنه يشترط لكل وجه من الوجوه العزو لناقله، ونلخص هذا كله بالسند المتصل الصحيح، واللغة العربية كعنصر مساعد، وخاصة في الفرشيات فهي من المتفق عليه، لا دخل للغة العربية فيها، وأما في الأصول أو الوجوه التي تتعلق بالأداء، (كالممدود والإدغامات والتسهيل والروم...) فليس فيه اتفاق ولا يمكن ادعاء التوقيف فيه.

الرأي الثاني: وهو عكس الأول يدعي أصحاب هذا الرأي أن اختلاف القراءات كلها ترجع إلى الاختلافات اللغوية واللهجات، فمصدر القراءات هو اللهجات، وعلى رأس هذا الرأي طلاب سيبويه كالمبرد والأخفش والمازني، أما سيبويه فهو على الرأي الأول.

الرأي الثالث: ذهب أصحاب هذا الرأي إلى أن بعضها توقيفي وبعضها الآخر اجتهادي، هناك رأي المستشرقين في هذا الموضوع، ورأي اللغويين في هذا الموضوع، ومكانة القراء في هذا الموضوع من المتقدمين ومن المتأخرين، لنبدأ من الخليل بن أحمد الفراهيدي، فالخليل كان على الرأي الأول كما تلميذه سيبويه.

## المبحث الثاني

### اثر المشافهة في القراءات على ضبط أصوات الحروف العربية

#### المطلب الأول: تعريف بالمشافهة .

المشافهة لغة: من شافه يشافه، مشافهة وشفاهاً، فهو مشافه، والمفعول مشافه، وشافه الرجل الرجل أي خاطبه وتكلم معه وجها لوجه.<sup>19</sup> ويقال: شافهه أدنى شفته من شفته فكلمه، وفي حديث ابن مسعود: (أقرأنها رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَأَهْ إِلَى فِي) أي مُشَافَهَةٌ وتَلَقِيْنَا.<sup>20</sup> واصطلاحاً: هي بالمعنى اللغوي ولا تختلف عنه، فالمشافهة اصطلاحاً تعد طريقاً من طرق أخذ العلم، وهي طريقة نافعة وسليمة، والرواية

19 اللغة العربية المعاصرة

20 النهاية في غريب الحديث والأثر، 481/3.

بالمشافهة قدمها علماء الامة على غيرها من الطرق، فقالوا: «يُقَدَّمُ عَامٌّ وَرَدَّ مُشَافَهَةٌ، أَوْ وَرَدَ عَلَى سَبَبٍ خَاصٍّ فِي مُشَافَهَةٍ بِهِ، وَسَبَبٌ عَلَى عَامٍّ لَمْ يَكُنْ بِطَرِيقِ الْمُشَافَهَةِ، أَوْ لَمْ يَكُنْ عَلَى سَبَبٍ خَاصٍّ».<sup>21</sup>

وفي علم القراءات المشافهة هي من المواجهة، والمخاطبة و الكلام معه وجها لوجه، فكثير من أمور الأداء كالإمالة والإشمام والروم وغيرها المتعلقة بالقراءات لا تضبط إلا بالمشافهة والتلقي. التي تكون بالجلوس بين يدي المقرئ والعرض عليه مشافهة، والسماع منه مع التركيز والترديد بعده، فالمشافهة في القراءات أن يأخذ التلميذ النطق الصحيح مباشرة من " فم الشيخ أو المقرئ " بنفس الصوت ونفس الحركات" من روم وإشمام وغنة ، والتلميذ يرى كل ذلك ويسمعه دون واسطة .

ملاحظة: ليس معنى المشافهة هو رؤية الشفتين فقط، الصحابة أخذوا الكثير من العلم عن السيدة عائشة خاصة فيما يخص أمور الزوجية مع النبي من وراء ستار أو حاجز، وكثير من المشايخ كانوا فاقدين للبصر، كذلك كثير من الشيوخ أخذن أسانيدهن عن مشايخهن من وراء حجاب، لم يرها الشيخ، و لم ير حركة الشفتين أو الفكين لديها و غير ذلك. فهي منتقبة، فلا يمكن القول أن المشافهة لم تتحقق هذه أدلة توضح أن المشافهة ليس معناها رؤية الشفتين، ولكن حوار حي دائر. وليس عن طريق التسجيلات الصوتية.<sup>22</sup>

### المطلب الثاني: معنى النقل الصوتي للقران.

مما لا شك فيه أن النبي صلى الله عليه وسلم بلغنا القرآن الكريم بطريقتين لا ثالث لهما، الكتابة على الورق والنقل الصوتي، فالنبي كان يتلقى كلام الله بكيفية تسمى الوحي، وكان يعاني منها شدة شديدة، قال تعالى: (إنا سنلقي عليك قولا ثقيلا)،<sup>23</sup> والنبي كان يعلم من حوله ما نزل عليه من مقطع قرآني ويتلو أمامهم، فيسمعون بأذانهم من فم النبي صلى الله عليه وسلم، ثم يعيدون ما سمعوه أمامه، فيستمع منهم ويقرهم إن أحسنوا أو يصحح لهم إن أخطأوا، إضافة إلى التدوين، فيوافق حينئذ اللفظ الخط المكتوب.

والصحابه رضوان الله عليهم كانوا عربا ومن قبائل عديدة، وبينهم فوارق في اللهجات، فنجد قبيلة تنطق بلهجة تختلف عن القبيلة الأخرى، فمثلا: قبيلة تنطق عليهم بكسر الهاء، وأخرى تنطق: عليهمو، وأخرى تقول: عليهم، بضم الهاء، وبعضهم يقرأ: يؤمنون بالهمز وبعضهم يقرأ يؤمنون بدون همز، وكان

21 مختصر التحرير شرح الكوكب المنير 4 / 704.

22 ربحانة غزة، المشافهة والإجازة عن بعد، تاريخ النظر: <https://www.facebook.com/Tas7i7Tilawa/posts/1093765850815925>

23 المزمّل، 5.

النبي يقرّهم على ذلك مالم يؤثر ذلك على المعنى، وهكذا صار القرآن عند جيل الصحابة، فصاروا يقرؤون ويقرؤون كما تعلموا، حتى وصلت القراءة إلى التابعين وتابعي التابعين.

فلا بد لكل متعلم من مقرئ يوقفه على حقيقة ألفاظ القرآن الكريم، فالقرآن العظيم ليس كبقية الكتب، ليس كتاباً نشتره من المكتبة ونأتي إلى البيت ونقرأه، لا بد لمتعلم القرآن من أستاذ يوقف الطالب على ألفاظ القرآن، ويقول له: هذه تنطق هكذا، وهذه تلفظ هكذا، بأسانيد متصلة إلى رسول الله، فم عن فم وأذن عن أذن، من أول الإسناد إلى آخره.

وهذه مزية للأمة الإسلامية لا توجد عند غيرهم أبداً، لا توجد أمه تنقل كتاب ربها بالنقل الصوتي سوى الأمة المحمدية، فبما أن الرسول أمر أن يتابع جبريل بالنقل الصوتي، فكذلك من بعد رسول الله ممن يتلقوه مأمورون بالنقل الصوتي، فلا بد من أخذ كلام الله صوتاً كما أخذ النبي كذلك صوتاً، والخلاصة فالنقل الصوتي مر بثلاثة مراحل:

1- نزل جبريل عليه السلام بالقرآن العظيم على قلب النبي صلى الله عليه وسلم

2- تلقى الصحابة الكرام من فم رسول الله

3- نقل أصحاب رسول الله القرآن إلى من بعدهم.<sup>24</sup>

### المطلب الثالث: الجانب الصوتي للحرف .

الصوت يعني الجرس كما جاء في لسان العرب، بينما عرفه ابن جني قائلاً: "فإن الصوت مصدر صات التي يصوت صوتاً فهو صائت وصوت تصويئاً، فهو مصوت، وهو عام غير مختص، يقال سمعت صوت الرجل وصوت الحمار"،<sup>25</sup> وقد عرفه ابن سينا قائلاً: "الصوت سببه القريب تموج الهواء ودفعه بقوة وسرعة من أي سبب كان"، فالصوت ينطق بدون أي عائق ظاهر وهو الألف والواو والياء وكذلك نسميها حروف العلة، والصامت عكسه.<sup>26</sup>

وقد اختلفت حروف اللغة العربية بمخارج لا توجد في كثير من اللغات، حيث يمتاز النظام الصوتي العربي بالحروف المفخمة والمرققة، وكذلك التجميعات الصوتية، كالنبر والتنعيم والإيقاع، وكلّ حرف من الحروف العربية صفات تميزه من غيره، ويعدّ تعلم الأصوات من المراحل المهمة عند تعلم العربية عند أهلها

<sup>24</sup> أيمن رشدي سويد، التجويد المصور. مكتبة ابن الجزري، دمشق، 2011، ص19.

<sup>25</sup> ابن جني، سر صناعة الإعراب، تحقيق مصطفى السقا وآخرين، مطبعة مصطفى البابي الحلبي مصر، ط1، 1954، 1/ 11.

<sup>26</sup> ابن سينا، أسباب حدوث الحروف، مطبعة المؤيد، القاهرة، 1332، ص 6.

وغير أهلها، وخاصة بعد معاينة الكثير من الأخطاء التي يقع بها المتعلم عند النطق بالحروف العربية، وكيف يختلط عليهم بين الحروف المتقاربة في الصفة والمخرج، كالسين والصاد، والحاء والهاء، والضاد والطاء، والعين والهمزة، والتي قد تسبب إرباك عند كثير من المتعلمين، وعدم رغبتهم في التحدّث خوف وقوعهم بالأخطاء.

ويذهب بعض علماء اللغة إلى أن الصوت والحرف معناهما واحد، كما قال ابن يعيش: "الحرف إنما هو صوت مقروع من مخرج معلوم".<sup>27</sup> ولو دققنا أكثر لوجدنا أن الكلمة في الأصل هي جزء من نظام صوتي، ويتألف هذا النظام من أجزاء عديدة، والأجزاء هي الحروف التي يتشكل الصوت منها، فتتميز أجراس هذه الأصوات كلما اختلف مطلع الحرف ومخرجه.<sup>28</sup>

وعلى سبيل المثال نجد في العربية مما سبق الحديث عنه حرف الصفيير وهو الصاد الذي يتميز عن حرف الصفيير الآخر وهو السين وذلك في كلمتين، مثل: "صار" و "سار" حيث يتميز حرف الصاد عن حرف السين لاختلاف الكلمتين في المعنى، ويرجع هذا إلى الاختلاف بين صوتي الحرفين، وهذا ما يؤكد المخرومي بأن موضوع درس الصوتي ما هو إلا الصوت اللغوي، وذلك من حيث مخرجه وصفته وامتزاجه بغيره من الأصوات لينتج صوتاً مقصوداً.<sup>29</sup>

#### المطلب الرابع: اختلاف القراء في النطق الصوتي لبعض الحروف.

يرجع اختلاف القراء في النطق الصوتي لبعض الحروف العربية إلى عدة قضايا، منها الإظهار والإدغام، وهذا يعود إلى ظاهرة أن أغلب العرب كانت تميل بطبعها إلى نطقها للإظهار لأنه الأصل، حيث لا يحتاج إلى سبب في وجوده، بينما الإدغام له سبب لإدغامه ويراد منه التخفيف، كالحرفان المتماثلان مثل (يدركم الموت)، والحرفان المتقاربان مثل (نخلفكم)، والحرفان المتجانسان مثل (إذ ظلمتم)، واشتهر قراء الكوفة والبصرة والشام بالإدغام أكثر من قراء مكة والمدينة، وذلك بسبب لهجات القبائل النازحة إلى العراق في ذلك الوقت، والبيئة العراقية أقرب إلى البداوة حيث السرعة في نطق بعض الكلمات، فينتج عنه امتزاج الحروف ببعضها ولا يعطى الحرف حقه نطقاً وتجويداً.<sup>30</sup>

27 شرح المفصل، 10/124.

28 الفراهيدي، الخليل بن أحمد، كتاب العين، تحقيق: إبراهيم السامرائي، مهدي المخزومي، دار الرشيد، بغداد، ط1، 1980، من مقدمة الكتاب ص11.

29 المخزومي، مهدي، في النحو العربي نقد وتوجيه، دار الرائد العربي، بيروت، ط2، 1986، ص32.

30 محمد سالم محسن، القراءات وأثرها في اللغة العربية، مكتبة الكليات الأزهرية، القاهرة، 1984، ج1، ص93/89.

ومنها تخفيف الهمز، وهي خاصة اشتهرت بها قبائل تميم ومن جاورهم، فالهمزة من أصعب الحروف نطقا كون مخرج الهمزة بعيد وهو أقصى الحلق، وهو حرف شديد لذلك اختارت بعض القبائل العربية تخفيف الهمزة، على عكس القبائل المتحضرة فقد كانت تتأني في نطق الهمزة وتثريث في الأداء، فأهملت همز الكلمات المهموزة وبالغت في النبر مستعيضة عنها بالتسهيل والإبدال والحذف، والقراء أخذوا بجميع هذه الوسائل، فمن أخذ بالإبدال قرأ (الذي ائتمن) بإبدال الهمزة حرف مد، والذي أخذ بالنقل قرأ (قل أوحى) بضم اللام، ومن أخذ بالتسهيل قرأ (أنذرتهم) بإدخال ألف وهكذا..<sup>31</sup>

ومنها الفتح والإمالة، وتعني الفتح هي أن يفتح الناطق للحرف فمه بلفظ الحرف، وكانت هذه الظاهرة متفشية قديما بين القبائل العربية وحتى قبل الإسلام، وتعني الإمالة تقريب الفتحة من الكسرة وتقريب الألف من الياء، ولا يمكن للمرء ضبطها إلا بالمشاهدة، وكانت القبائل العربية التي تكسّن غرب الجزيرة العربية كقريش وهوازن وثقيف تعرف بالفتح، بينما القبائل التي كانت تسكن وسط الجزيرة العربية فكانت تعرف بإمالة الحروف كتميم وقيس وبكر وغيرهم، ولإمالة أسباب كالكسرة الأصلية مثل: (النار)، والكسرة العارضة مثل (جاء)، وكون الألف منقلبة عن ياء مثل: (رمى)، أو رسم الألف ياء مع أن أصلها واو مثل: (والضحى)، وهكذا، ولإمالة فائدة أيضا وهو سهولة اللفظ.<sup>32</sup>

ومنها الفتح والإسكان في ياءات الإضافة، وهي الياء الزائدة التي تدل على المتكلم، وتتصل بالاسم وتكون مجرورة مثل: (نفسى)، وبالفعل وتكون في محل نصب مثل: (أوزعني)، وبالحرف وتكون في محل جر مثل: (لي)، وتدور الخلافات بين القراء في ياءات الإضافة بين الإسكان وهو الأصل والفتح، وهما لغتان شائعتان عن العرب، والفتح والإسكان يعتبران من التغيرات الصوتية.<sup>33</sup>

ومنها الإشمام وعدمه في الصراط، حيث جاءت القراءة بالسين وهي لغة عامة العرب، وهي الأصل حيث لو كانت الصاد هي الأصل لما ردت إلى السين لضعف السين عن الصاد، والأصل في كلام العرب عند إبدالهم للحروف أن يردوا الأضعف إلى الأقوى، وكذلك جاءت القراءة بالصاد المشممة بالزاي وهي لغة قيس، وإنما قرؤوا بالإشمام لأن الصاد فيها مخالفة لحرف الطاء في صفة الجهر فأشموها الصاد صوت الزاي للجهر الذي فيها، وكذلك جاءت القراءة بالصاد الخالصة وقد قرأ معظم القراء بها وهي لغة قريش، وبها جاء خط المصحف.<sup>34</sup>

31 محسن، المصدر السابق، ص 96/94.

32 محسن، المصدر السابق، ص 98/97.

33 محسن، المصدر السابق، ص 100/98.

34 محسن، المصدر السابق، ص 100/101.

ومنها الإسكان والتحرك في لفظي هو وهي، حيث قرأ بعض القراء بإسكان الهاء وهي لغة نجد، وذلك إن كان قبلها واوا مثل: (وهو)، أو فاء مثل: (فهو)، أو لاما مثل: (لهي)، أو ثم مثل: (ثم هو)، ووجههم أن الهاء الساكنة لما اتصلت بما قبلها صارت كالكلمة الواحدة فسكن الوسط للتخفيف وهي لغة مشهورة ومستعملة عند العرب، كون لعرب يكرهون توالي ثلاث حركات، بينما قرأ الباؤون بضم الهاء من (هو) وكسرها من (هي)، وبذلك أبقوا الهاء على أصلها قبل دخول الحرف عليها. ومظهر الصوتيات هنا واضح، لأ، الحرف الساكن صوت مغلق والمتحرك صوت مفتوح.<sup>35</sup>

## الخاتمة

نستنتج مما تم عرضه في هذا البحث أن علم القراءات القرآنية يعدُّ مصدراً أصيلاً من مصادر الدراسة الصوتية للغة العربية، وإن هذه النتيجة مبنية على أساس تنوع القراءات وكيفية أدائها، مما يجنب المتعلم للغة العربية من الوقوع في اللحن، حيث أن الفطرة قد ضعفت في هذه الأيام، والسليقة قد انحرفت، والألسنة قد اختلطت، فللقراءات القرآنية أثر كبير في وضع قواعد النحو العربي، حيث أن آراء النحاة تنوعت واختلفت بسبب اللهجات العديدة التي تتصف بها القبائل العربية، وليس لعلم القراءات أثر على النحو واللغة العربية فحسب، بل له أثر واضح في تثبيت علم التفسير والحديث وغيرها.

## المصادر

- محسن، محمد محمد محمد سالم، القراءات وأثرها في علوم العربية، مكتبة الكليات الأزهرية - القاهرة، ط1، 1984.
- القاضي، عبد الفتاح بن عبد الغني بن محمد، البذور الزاهرة في القراءات العشر المتواترة، دار الكتاب العربي، بيروت - لبنان.
- ابن الجزري، محمد بن محمد بن يوسف، النشر في القراءات العشر، دار الكتاب العلمية، بيروت.
- السيوطي، جلال الدين، الإتقان في علوم القرآن، الهيئة المصرية العامة للكتاب، د.ط، 1974م.
- الرزقاني، محمد عبد العظيم، مناهل العرفان في علوم القرآن، مطبعة عيسى البابي الحلبي، القاهرة، ط3،
- حبش، محمد، الشاملة في القراءات، دار الكلم الطيب، دمشق، ط1، 2001م،
- الزركشي، محمد بن عبد الله بن بهادر، البرهان في علوم القرآن، مطبعة عيسى البابي الحلبي، القاهرة، ط1، 1957م.
- ابن عاشور، محمد الطاهر بن محمد التونسي، التحرير والتنوير، دار التونسية للنشر، تونس، 1984م.
- كشيدان، إبراهيم محمد، السبل النيرات في أهمية علم القراءات، المجلس الوطني، دبي، ط1، 2014م.
- أبو حيان الأندلسي، البحر المحيط في التفسير، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 2001م.

المؤتمر الدولي الافتراضي مقررات اللغة العربية في التعليم الجامعي

- الفراهيدي, خليل بن أحمد, كتاب العين, دار الرشيد, بغداد, ط1, 1980.
- ابن سينا, أسباب حدوث الحروف, مطبعة المؤيد, القاهرة, 1332.
- المنبجي, أبو محمد زكريا بن مسعود الأنصاري الخزرجي, اللباب في الجمع بين السنة والكتاب, دار القلم, دمشق, ط2, 1994م.
- ابن جنى, سر صناعة الإعراب, تحقيق مصطفى السقا وآخرين, مطبعة مصطفى البابي الحلبي مصر, ط1, 1954,
- المخزومي, مهدي, في النحو العربي نقد وتوجيه, دار الرائد العربي, بيروت, ط2, 1986,
- سويد, أيمن رشدي, التجويد المصور, مكتبة ابن الجزري, دمشق.
- ربحانة غزة, المشافهة والإجازة عن بعد, تاريخ النظر:  
[/https://www.facebook.com/Tas7i7Tilawa/posts/1093765850815925](https://www.facebook.com/Tas7i7Tilawa/posts/1093765850815925)
- محمد عبد الله فاتح, القراءات القرآنية- مقدمة أساسية, [/https://atharah.com/readings-of-the-quran](https://atharah.com/readings-of-the-quran)